هل هناك توبة "بعد الموت"؟![1]

سؤال

هل يمكن أن يتوب الإنســـان بعد الموت، كما ورد في كتابات البعض، الذين قالوا إن الرسل في العالم الآخر يكرزون ويبشرون ويقودون إنسانًا إلى الإيمان وإلى التوبة...؟

الجواب

الدينونة تكون للإنسان كله روحًا وجسدًا.

ولذلك فالدينونة تكون لفترة وجودنا بالجسد على الأرض.

وفي هذا يقول الكتاب "لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِـــيِّ الْمَسِـــيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا" (2كو5: 10).

وهذا ما تؤيده طقوس الكنيسة، إذ نقول في صلاة النوم:

"توبي يا نفسي ما دمت في الأرض ساكنة.."

ويعلل ذلك بقولنا "لأن التراب في القبر لا يســبّح. وليس في الموتى من يذكر، ولا في الجحيم من يشكر." أي أنه ليس بعد الموت مجال للتسبيح وللشكر لمن مات في الخطية.

وهنا نسأل سؤالًا هامًا وهو:

الذين يكرزون في العالم الآخر فرضًا، هل يكرزون للإنسان كاملًا أم لروحه فقط؟ طبعًا للروح فقط.

فإن تابت الروح، ماذا عن الجسد وتوبته؟!

وكيف تتوب الروح، ولا تواجهها معطلات الجسد والمادة؟

---

[1] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث – بمجلة الكرازة – السنة الثامنة عشرة – العددان 33، 34 (28-9-1990م – ونشر في 13-9-1996م)

هل نعتبر هذه توبة حقيقية كاملة؟! بينما الإنسان في العالم الآخر لا توجد أمامه المغريات المادية ولا المحاربات الجسدية على كافة أنواعها، ولا توجد أمامه العثرات التي في هذا العالم الحاضر، من "شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ" (1يو2: 16).

ما معنى التوبة، حيث لا توجد حروب للجسد والحواس؟!

بل حيث لا توجد حروب للروح أيضًا، من المعاشرات الردية، ومؤامرة الناس الأشرار، والطموح العالمي، وردود الفعل إزاء تصرفات الآخرين، وأيضًا شهوة تعظم المعيشة...!!

هناك دليلًا آخر على أن الذي يموت في خطاياه، لا مجال له في التوبة، وهو:

إننا لا نصلّي على الذي يموت في خطيته.

فإن مات الإنسان وهو غير مؤمن أو وهو هرطوقي أو مبتدع، لا نصلي عليه.. ولو كان هناك مجال لتوبته عن طريق تبشير الرسل في العالم الآخر، لكنا نصلي من أجله ونذكره في أوشيه الراقدين، لعل الله يرسل له بعد الموت إنسانًا قويًا في نشر الإيمان مثل بولس الرسول، أو القديس أثناسيوس الرسولي، ليهديه فيؤمن...!

ولو مات إنسان منتحرًا وهو عاقل، لا نصلي عليه..

ولو مات إنسان وهو في حالة زني أو سرقة، أو وهو يعتدي على آخرين ظلمًا، أو ما أشبه.. لا نصلي عليه.. بينما لو كانت أمامه فرصة للتوبة في العالم الآخر على يد واعظ مؤثر، مثل القديس يوحنا ذهبي الفم أو مار أفرام السرياني، أو القديس أوغسطينوس، لكنا نصلي لكي يرسل له الله من يهديه في العالم الآخر...!!

وكيف يهديه ما دامت لا توجد أمامه فرصة للزني ولا للسرقة ولا للظلم ولا للاعتداء في العالم الآخر.

ولعل عدم الصلاة على أمثال هؤلاء يؤيده قول الرسول:

"تُوجَدُ خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لأَجْلِ هذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ" (1 يو5: 16).

بينما هناك خطايا أخرى يمكن الصلاة من أجلها.

إذًا ما جدوى التبشـــير في العالم الآخر؟ وهل تكون مثل هذه الكرازة ضـــد تعليم القديس يوحنا الرسول؟!

بل إن هذه أيضًا ضد قول السيد المسيح لليهود:

"أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي، وَتَمُوتُونَ فِي خَطِيَّتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا" (يو8: 21).

فما معنى عبارة "تَمُوتُونَ فِي خَطِيَّتِكُمْ" هنا؟ وقد كررها الرب ثلاث مرات في تلك المناســـبة.. مثل قوله "إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ" (يو8: 24).

وإن كان هناك مجال للتوبة أو للإيمان في العالم الآخر، فما معنى قول الرب "حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا" (يو8: 21).

أليس هذا حكمًا قاطعًا بعدم إمكانية التوبة، وعدم إمكانية الإيمان في العالم الآخر؟!

هناك أيضًا نصوص من الكتاب تثبت هذه الحقيقة، منها:

أ- قصة الغنى ولعازر:

لم تكن هناك فرصة لهدايته، مع أنه كان يبدو استعداده لذلك:

فأبونا إبراهيم كان يمكنه أن يقوم بعمل كرازي من جهته، بدلًا من قوله له "بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ ههُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ، وَلاَ الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا" (لو16: 26).

إن كان هناك مجال للتوبة، فلماذا الهوّة العظيمة الفاصـــلة، واستحالة العبور إلى الجانب الآخر؟!

ولماذا لم يقم أبونا إبراهيم بهداية هذا الغني، الذي يتشـــفع من أجل أهله وأقاربه في العالم، حتى لا يأتوا إلى موضـــع عذابه. وهذا يدل على رغبة في الخلاص...!

ب- زمانًا لكي تتوب:

ورد في قول الرب لرسوله يوحنا في سفر الرؤيا عن المرأة إيزابل (وهي رمز بلا شـــك).. "وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا لِكَيْ تَتُوبَ عَنْ زِنَاهَا وَلَمْ تَتُبْ" (رؤ2: 21).. ولا

شـك أن أقصـى مدة لهذا الزمان هي الحياة على الأرض قبل الموت. وهنا نورد قول الكتاب:

"وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ" (عب9: 27).

ولم يقل إن هناك توبة بعد الموت، بل دينونة.

نذكر من الكتاب مثالًا آخر، قاله رب المجد وهو:

ج- العذارى الجاهلات:

وهن يمثلن كل الجنس البشري، الذي فقد الخلاص..

لقـد كن عـذارى، ولهـذا معنـاه الروحي. وكن ينتظرن العريس، ومعهن مصـــابيحهن. فلما جاء العريس وكادت مصـــابيحهن تنطفئ. وذهبن ليبتعن لهن زيتًا.. أتراهن اســـتطعن أن يبتعن زيتًا؟ هل أعطيت لهذه الأنفس فرصـــة أخرى، مع ســـعيها لابتياع الزيت؟! أم قد أغلق الباب في وجوههن، وقال لهن الرب "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ" (مت25: 12).

ومن يظن أن هناك فرصـة لابتياع زيت بعد الموت، فليأخذ درسًـا من مصير العذارى الجاهلات..

نقطة أخرى أساسية نقولها وهي:

فكرة إمكانية التوبة بعد الموت، تقدم فرصة للاستهتار واللامبالاة..

على اعتبار أن الإنسان يسلك حسب هواه هنا على الأرض، ولا يسير زمان غربتـه بخوف (1بط1: 17)، معتمـدًا على توبتـه بعـد الموت!! وهكـذا يجمع واهمًا بين المتعة في الدنيا، والتوبة والخلاص في الآخرة..

إن الكتـاب ليس فقط يعلمنـا التوبـة خلال هـذه الحيـاة، بـل أكثر من هـذا يقول لنا: "اذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ" (جا12: 1).

ويعلل ذلك بقوله "قَبْلَ أَنْ.. تَجِيءَ السِّنُونَ إِذْ تَقُولُ: لَيْسَ لِي فِيهَا سُرُورٌ" أي قبل أن تزول فترات الحروب الشـــبابية.. فماذا إذًا عن زوال الدنيا كلها، والخروج من هذا الجسد أيضًا؟!

"مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ" (مت13: 43).